أحزان الوحدة !

للأديب عبد الرحمن الخميسى

دَمِّرِى يَا وَحْشَتِى كُلَّ هَنَاءْ
وَعَلَى أَنْقَاضِهِ سِرْ يَا عَنَاءْ
وَاعْصِفِى بِى يَا شُجُونِى عَصْفَةً
تَحْمِلُ النَّفْسَ إِلَى وَادِى الفَنَاءْ
أَنَا أُفْرِدْتُ وَلَا مِنْ مُؤْنِسٍ
يُبْعِدُ الْوَحْدَةَ عَنِّى وَالشَّقَاءْ !
أَنَا أُفْرِدْتُ فَيَا مَنْ عَزَّ أَنْ
يَتَلَقَّاهَا خَيَـــالُ الشُّعَرَاءْ
أَيْنَ أَلْقَاكِ ؟ ابْزُغِى فِى عَالَمِى
تَتَفَتَّحْ لِىَ آفَاقُ الرَّجَاءْ !
هٰذِهِ الْوَحْدَةُ مَا ذَا بَعْـــدَهَا
يَا زَمَانِى يَنْطَوِى لِى فِى الْخَفَاءْ ؟
أَحْرِقِى بِالدَّمْـــعِ أَجْفَانِى يَا
أَعْيُنِى وَاسْتَعْذِبِى مُرَّ الْبُكَاءْ
أَنَا أُفْرِدْتُ فَيَا غُرْبَةُ مَا
كُنْتِ لِى غَيْرَ مَعِينِ الْبُرَحَاءْ
فَانْزِفِى يَا أَضْلُعِى فِى وَحْدَتِى
حَرَّ مَا يُتْرِعُ قَلْبِى مِنْ دِمَاءْ
هَاتِهِ الْأَنْجُمُ مَنْ يُغْرِقُهَا
فِى أَوَاذِيِّكَ يَا بَحْرَ السَّمَاءْ !!
ثُمَّ مَنْ يُطْلِقُ رِيحًا صَرْصَرًا
تُطْفِئُ الْمِصْبَاحَ فَالدَّارُ خَلَاءْ !
غُرْفَتِى لَا تَعْرِفُ الْأَصْوَاتِ يَا
شِـــقْوَةَ الْهَاتِفِ إِبَّانَ النِّدَاءْ
إِنْطِقِى أَيَّتُهَا الْجُدْرَانُ ، أَوْ
نَاضِعِينِى وَاهْدِمِى فَوْقَ الْبِنَاءْ
وَقِفِى أَيَّتُهَـــا الْأَرْضُ ! وَلَا
تَقْطَعِى الدَّوْرَةَ فِى هٰذَا الْفَضَاءْ

عبد الرحمن الخميسى

تقدير ؟ فلو كان هذا المعنى مقصوداً فى كلام أديب لكان معيباً عند أهل البلاغة ، ومع ذلك فهذا هو ما فهمه من كلام الله الدكتور زكى مبارك المستأثر ببلاغة النثر والشعر الحائز لدكتوراه الأدب العربى من باريس بكتابه النثر الفنى الذى زعم فيه أن القرآن من كلام البشر ودعا فيه إلى نقد القرآن

فكأن الله سبحانه أراد أن يضرب مثلاً لخلقه من إعجاز كلامه على يد شاك يظن أنه ملك ناصية الكلام ، فقيض الدكتور زكى مبارك ، لا ليبدل لفظاً من لفظ ليكون لفظ القرآن هو الأفصح والأبلغ ، ولكن لينقل لفظاً بعينه من وجه إلى وجه ، من الإسمية إلى الوصفية ، ولا يكون هذا اللفظ إلا أبسط كلمة فى أبسط آية يفهمها حتى عوام المسلمين فى أنحاء الأرض ، ليجئ المعنى تافهاً بعد مروره فى ذهن الدكتور ؛ وليتبين للناس ، مثل من عزة القرآن وإعجازه ؛ وأن صاحب النثر الفنى لا يفقه فرق ما بين الإعجاز وغير الإعجاز ، وأنه ليس من القرآن الكريم فى حقيقة ولا مجاز .

محمد أحمد الغمراوى